اسم الأب، سقوط القيد، الذهان

ترجمة جزء من مقالة قراءة لاكانية للذهان والعرض المرضى

Saman Zoleikhaei

لقد خصص لاكان السيمينار الثالث والعشرون للقصصي الأيرلندي جيمس جويز (1882-1941)، الذي كان روائيا وشاعرا وكاتبا مسرحيا، ولقب كأحد أعظم الكتاب تأثيرا في العالم وعلى مدار التاريخ. قضى فترة شبابه صاخبا، وأمضى حياته في المنفى في بلدان مختلفة. ولكونه كان مشهورا بالبراعة اللغوية والتعقيد، فقد انتل الى التطرف في استخدام تيار الوعي...كتب مسرحية "المنفيون"، مسرحيته الوحيدة الباقية، في عام 1914؛ وتم نشرها في عام 1918، وقد تم تمثيلها دون نجاح كبير.

في هذا السيمينار الثالث والعشرون سعى لاكان لصياغة وصك مصطلحا رابعا يكمل به حلقاته العقدية بشأن المتخيل والرمزى والواقعى. ولقد قدمت كتابة "جويز" لجاك لاكان الأشياء المطلوبة لطرح صياغاته التنظيريه وإستخدام مفردة جديدة. لقد إستخدم مفردة (sinthome)، أي العرض المرضى، لأول مرة في العام 1975 حتى يسبر غور فن جويز. لقد إستعار هذا المصطلح من السيكوباثولوجى. وهذه المفردة ليست مرتبطة بالمرض وانما بالبنية النفسية. فالعرض المرضى التحليلي النفسي انا هو مختلف عن لبعرض المرضى الطبي؛ ولقد كان لاكان هو من أعطى للفكرة لونا جديد بربطها بالعقد الثلاثة الأخرى. ولقد إستهل لاكان السيمينار الذي يحمل عنوان Le Sinthome على النحو التالى: إن العرض المرضى Le Sinthome إنما هو طريقة قديمة لهيجاء ما يتم هيجتءه حديثا ب symptom. ولاكان لايقيم فصلا بين هاتين المفردتين، ولكنه كان يسعى لإستخدامهما على نحو تبادلى... ولقد سعى لاكان لتحديد العرض المرضى عند "جويز" الذي يحفظ ويثبت إسمه. فالعرض المرضي إنما هو ضرب من التشكل او الصياغة التي تساعد الذات أن تتجاهل بعض الحقيقة وتؤسس البعض الاخر. ويقرر Dravers : إنه يقينا ليقدم الخيط المضيئ الخاص به لمنطق الواقعى والرمزى والمتخيل. إن هذا الن يستحضر للضوء الكيفية التي بها يكون تواجد الوقعى ex-sistance، وتناسق consistance المتخيل والفجوة التي يحدثها الرمزى، جميعهم مترابط معا على متوى العقدة Knot. إن تناسق النظام المتخيل يمتد الى إستحالة التمزق الذي يتسود فيه الواقعى. إن العرض المرضى، الذي ينبثق كونه بقية باقية للأنظمة الثلاثة كلها، إنما يكون قائما من أجل إتساقهم. إن بزوغ العرض المرضى انما يكمن في تقاطع الواقعى والمتخيل الأمر الذي يربطهم على نحو حميم بسقوط قيد لمحور أساسي في النظام الرمزى.

لقد بلغ التقارب الوثيق بين جيمس جويز وجاك لاكان ذروته في ضرب من سبر الغور العميق في إحدى حلقات سيميناره الدراسية المنعقد في العام 1975-1976، الذى يحمل عنوان العرض المرضى. وفى بداية حلقته الدراسية المنعقدة في العاشر من فبراير من العام 1976 قام لاكان بطرح سؤاله على العامة، وربما لأول مرة: عند أي نقطة يكون المرء مجنونا؟ هل كان جويز مجنونا؟ومن خلال القيام بالإجابة على هذا السؤال بلغ لاكان لطرح نظريته بشأن العرض المرضىsinthome.وبقيامه بطرح صياغة تطويرية طبوغرافية وبرغبة منه في توسيع مدى العقدة البروميانيه Borromean Knot ، قام لاكان بإدخال وتقصى العرض المرضى من خلال كتابة جويز. وما قام لاكان بفعله في سيميناره الثالث والعشرين إقامة معبر يسد الفجوة

بين النظرية الرياضية والكتابة الجويزية حتى يعيد تعريف العرض المرضى بالنسبة للذات. فلقد تناول العرض المرضى symptom وقام بصك مصطلح sinthome حتى يتسنى له ان يضيف الصبغات والفروق الدقيقة للمعنى في مواجهة مسألة الأبوة عند جويز. ويعد سيمينار لاكان بمثابة إعداد لتناول جويز بوصفه عرضا مرضيا يمثل نتيجه عقب إعداد خخطاب من خطاب، عقب ضرب من النضال والكفاحبإمتطاء وتجاوز البعد الرمزى المحكوم بالإسم الأبوى للأبعلى المستويين الحِّرفى والحِرفى.ويم تفسير تناثر الرسالة لإشكالية علاقة جويز مع أبيه.

وشأن العديد من المصطلحات الأخرى في الأعمال اللاكانية، فإن من الصعب ان يتم تعريف العرض المرضى sinthomeدون أن يتم ربطه بالمفردات الأخرى.ومن أجل الهروب من سلاسل الذهان، يكون على الذات أن تلجأ للعرض المرضى الذي يعد نتيجة لسقوط القيد للاسم-بتاع-ال-أب من النظام الرمزي. وإنه من خلال التعيين والتوحد مع العرض المرضى أو مع نواة الواقعي للهوية، أو مع الموضوع الصغير "a"، سوف تصبح الذات قادرة على أن تتحرك فيما وراء النظام الرمزي.

الإسم-بتاع-ال-أب، الذهان، سقوط القيد، والذهان

لقد ظهر أسم الأب في كتابات لاكان في الخمسينات دون أن يكون هناك علاقات فصل ودون حروف تاجية ليشير الي الدور التحريمي والتكويني للأب في المركب الاوديبي. ففي تقرير روما (1953) تم طرح تعبير اسم الأب لأول مرة. وقام لاكان بتمييز الأب الرمزي عن كل من الأب المتخيل والأب الواقعي. ومفردة الاسم Name في الفرنسية تحمل معا اسم الأب، ولا الأب Name and No ofthef. والأب الرمزي يلعب دورا مزدوجا لكل من التشريع والتحريم. إن الاسم ـ بتاع ـ الـ ـ اب يضطلع بمكان رغبة الأم ويحل محلها في النظام المتخيل ويساعد الذات على الدخول مملكة الرموز والثقافة.

أن الوظيفة الأبوية تخدم الطفل من الشرك الاومي... إذ يتأتى الفصل عن الأم كنتيجة لدخول الاسم ـ بتاع ـ الـ ـ أب. والأب هو المؤسس لقانون الأخر الكبير ويمد بالخلفية لبزوغ الرغبة وتطورها. أن تنصيب القانون والنظام هو الذي يجعل من تحقيق الرغبة مستحيلا. ويتواجد الأخر الكبير، الممثل لقانون النظام الرمزي، باعتباره الاسم ـ بتاع ـ الـ ـ اب. وتضطلع استعارة الاسم ـ بتاع ـ الـ ـ اب بمكان رغبة الأم وتحل محلها. وقد قام لاكان بصياغة هذه العملية في المعادلة التالية:

الاسم-بتاع-الـ- أب رغبة الأم (A)

———— . ———— اسم ـ بتاع ـ الـ ـ اب ————

رغبة الأم مدلول الذات الفالوس

إنه ليس فحسب تكسير وتحطيم لثنائي الأم والطفل وإنما أيضا تأسيس الفالوس كونه دال نقصان في الأخر الكبير. وهاتين العمليتين يلتقيا في الاسم ـ بتاع ـ الـ ـ اب. وكما يبرهن فان هيوت: "هكذا تتبدي الابوة كوظيفة رمزية يتم تمثيلها من حيث المبدأ بالأب الواقعي". فالأب يلعب دورا رئيسيا في النظام الرمزي ويعمل عمل المنظم للرغبة.

أن الأب له دورا مؤثرا في تكوين النفس لكل فرد. ويقرر جريج Grigg "باعتباره المالك للفالوس، فإن وظيفة الأب هي تنظيم رغبة الأم باعتبارها الأخر الكبير مطلق القدرة. أن الأب يعمل عمل المدعم المساند لتوحد الذات، المنتج لمثال الأنا. إن الأب بما هو كذلك هو الذي يفصل الطفل عن الأم ويفتح السبيل لإدخال الطفل في النظام الرمزي. أن عمل النظام الرمزي يعتمد على دال الاسم ـ بتاع ـ الـ ـ اب، التبدي الأفضل ما يكون والممثل لما يكونه الأب. ويناقش Fink:" أن الوظيفة الابوية إنما هي وظيفة رمزية". وبالإسناد الي المناحي الرمزية للأب، يشير الاسم ـ بتاع ـ الـ ـ اب الي وكالة الأبوة. وهذا ليس بمرتبط بشخص واقعي وإنما يلمح الي وظيفة رمزية. إنه يدخل القانون والنظام بتحطيم الثنائي المتخيل للعلاقة أم / طفل. ويقرر فينك: " وفي هكذا موقف، يمكن للأب او لبعض أخر من أعضاء المنزل، أو أي أخر يقوم بالرعاية والاهتمام أن يخدم في مثل هذه الوظيفة النوعية المحددة: التي وظيفتها الغاء وتلاشي الوحدة الأم ـ الطفل، حلق مساحة جوهرية او فجوة أساسية بين الأم / الطفل. أن وحدة الطفل والأم يتم تكسيرها من خلال دخول طرف ثالث يصطلح عليه بالاستعارة الابوية. أن هذا الثالوث يتم تنصيبه بطرف ثالث يسمي الاسم ـ بتاع ـ الـ ـ اب في المعجم اللاكاني. أن الوظيفة الأبوية تقيم حاجزا وتكسر الوحدة وتقييم نقصانا لدي الطرفين الأخرين أنها تحول دون بلوغ الطفل للأم وتلقي به في النظام الرمزي بقوانينه التأسيسية.

ففي النظام الرمزي عند لاكان: يتأتى الأب كونه ضرب استعارة تدخل الطفل في عالم الرغبة والنقصان. فالفالوس، النقطة المركزية في العملية الرمزية، إنما هو الممثل لهذه الاستعارة التي يفسر في دخول الذات في النظام الرمزي وتضع رغبته قيد العمل. أن الاستعارة الابوية تستثير دلالة الفالوس في هذا التحول العبري. إنها تضفي الصفة الاستعارية وتحول دون رغبة الأم.

إن الكبت الاولي الذي يتحقق من خلال تأسيس الاسم ـ بتاع ـ الـ ـ اب إنما يفتح السبيل لدخول الذات في النظام الرمزي. ويضيف Grigg: إن الاسم ـ بتاع ـ الـ ـ اب، كونه دالا خالصا، إنما يدعم دخول النسق الرمزي بكليته؛ إنه يمثل حجرة الأساسي، نقطة تثبيته وارتكازه، نقطة لضمه خياطة. وبكونه دال رغبة الأخر الكبير، فإن الاسم ـ بتاع ـ الـ ـ اب يكون مكبوتا. إنه الدال القائم هناك لإدخال الذات وتأسيسها بما هي كذلك إذ أن كل الدوال الأخرى تمثل الذات في علاقة به. إن هذا "الدال الاوائلي"، وفقا ل فينك، هو شرط لا غني عنه للذاتية. إن هذا الدال، على خلاف الدوال الأخرى، لا هو بالملموس ولا هو بالممكن نطقه وتلفظه. وليس هناك من دال أخر يمكن أن يأخذ مكانه. أن الاسم-بتاع-ال-أب يُمكن الذات أن تحمل دلالة سوية طبيعية.

وفي تفسير لبنية اللغة ووجهتها المعاصرة، تعد عملية صنع المعني عملية ارتجاعية. فالدال الذي يسمي ب "الدال السيد الرئيسي" يبقي خارج سلسلة الدلالة ويمد بأخر لسلسلة دلالية دائمة الانجراف ويجعل من المعني ممكنا. وما قيل حتى الأن يشير إلى الاسم ـ بتاع ـ الـ ـ اب الذي يؤسس ذاتا ناقصة من خلال نقاط تثبيت وارتكاز. إن الاسم ـ بتاع ـ الـ ـ اب يعقلن موقع الذات في النظام الرمزي، يهيئ العملية الإجرائية للبنية البرومانيية في حالتها السوية الطبيعية، ويزود بضرورية العرض المرضى Sinthome في حالة انهيار البنية.

إن سقوط قيد الاسم ـ بتاع ـ الـ ـ اب ينتهي بوضع الذات في الذهان. إن الاسم-بتاع-ال-أب يتم رفضه من جانب النظام الرمزي ويترك فجوة. الذهان ينطلق بضرب من المواجهة مع أب، ليس بالضرورة أن يكون الأب الواقعي للذات هو الذي يفشل ويسقط. ويقرر فينك " أن الأب الفعلي بشحمه ولحمه لا يحقق في التو وعلى نحو آلي الوظيفة الأبوية، لا ولا بغياب الأب الواقعي. أن الأب الفعلي الحي يؤكد على نحو آلي غياب الوظيفة الابوية وعدم وجودها. إنه موقع من الممكن شغله بدوال متباينة. إن فراغ وخواء هذه الموقع في النظام الرمزي يؤدي الي الذهان. إنه الأب أو الوظيفة الابوية هي التي يتم سقوط قيدها من النظام الرمزي بالنسبة لذات. حيث هناك يتم يبزغ ضرب من الفجوة او الفراغ في الأخر الكبير. ويضيف لاكان "نتيجة لغياب او لافتقار الأثر الاستعاري، الذي يشير لاستعارة الاسم ـ بتاع ـ الـ ـ اب، سوف يقوم هذه الفجوة بإحداث فجوة مماثلة في موقع الدلالة الفالوسية". ويتعثر ميكانيزم الدلالة والمعني، ومن ثم إخفاق في العلاقات البين ذاتية. إن هذه الثغرة في مملكة الدوال تجعل الذات تواجه نقصان دعم السلسلة الدلالية. أن سقوط قيد الاسم ـ بتاع ـ الـ ـ اب يمكن أن يحسب حسابه من خلال ضرب من الإمداد أو الملحق يتم تسميته بالعرض المرضى. إن سقوط القيد هو الذي يجعل العرض المرضى ضرب من الضرورة الملحة للذات الذهانية. إن سقوط قيد الاسم-بتاع-ال-أب هو الذي يطلق محرك الذهان ويجعله قيد الحركة.

إن الميكانزيم الذي يطلق الذهان إنما يتم تسميته ب ميكانيزم "سقوط القيد" وقد تم أخذه من مصطلح verwerfungعند فرويد(repudiation). ولقد استخدم فرويد المفردة الألمانية verwerfung في دراسته لحالة رجل الذئاب. ومصطلح ال verwerfung (سقوط القيد) يختلف عن مصطلح verdrangung (الكبت) في العصاب بالمعنى الذى فيه يذهب العنصر المكبوت للاشعور ويعاود في الرمزي. ويتتبعه فرويد، يناقش لاكان المصطلح ويستخدمه ليشير الى " نبذ" dismissal شيء ما كما لو لم يكن موجودا على الإطلاق الأمر الذي يمايزه عن الكبت ويفصله. إن إخفاق الكبت الأولى إنما هو إخفاق للاستعارة الأبوية حيث لم يتم تعميد القضيب وإنشاؤه كونه الدال السيد والرمزى.وبناء عليه يفشل إحلال الإسم-بتاع-ال-أب محل الرغبة في الإم.

ويستهل فينك الفصل السابع من كتابه مقدمة كلينيكية على النحو التالى، "إن سقوط قيد الاسم ـ بتاع ـ الـ ـ اب يتضمن ضربا من الرفض الراديكالي لعنصر بعينه من النظام الرمزي (أي من اللغة)، وليس بأي عنصر: إنه يتضمن العنصر الذي يثبت ويشكل الخلفية للنظام الرمزي ككل. وعندما يتم سقوط قيد هذا العنصر، يتأثر النظام الرمزي بكليته. أن هذا العنصر ساقط القيد لهو مرتبط بمفتاح.

إن سقوط قيد الابوة يترك ثغرة في الحياة النفسية للذات، أعني ثغرة في النظام المتخيل وثغرة في النظام الرمزي. في النظام المتخيل حيث لا يتم تنصيب الفالوس، وفي النظام الرمزي حيث لا يتم تأسيس الاسم ـ بتاع ـ الـ ـ اب. إن غياب الدلالة في النظام الرمزي تجعل من العلاقة بين النظم الثلاثة متعثرة. وتجد الذات صعوبة في تبني وضعا بعينه في النظام الرمزي. وتترجم الثغرة الاولي عن الخصاء في حين تشير الثغرة الرمزية الي سقوط الاسم ـ بتاع ـ الـ ـ اب. إن سقوط القيد هو ليس بالمفتاح الرئيسي لفهم الذهان فحسب وإنما بتمييزه عن العصاب. إن على الذات، حتى يتسنى لها أن تدخل النظام الرمزي أن تتبني قوانين الدلالة، أن تخبر وتعيش تأسيس الاسم ـ بتاع ـ الـ ـ اب وتعميده. الإخفاق في مثل هذه الخبرة والابعاد لهذا الدال الرئيسي يؤدي الي الذهان. وبشأن العلاقة بين سقوط القيد والاسم ـ بتاع ـ الـ ـ اب، يقرر لاكان في السيمينار

الثالث: ما هي المشكلة عندما أتكلم عن سقوط القيد؟ المسألة هي الرفض والابعاد (سقوط القيد) لدال اوائلي في الظل الخارجي، دال سوف يكون من الأن فصاعدا مفقودا على هذا المستوي... إنها مسألة لعملية اوائلية من الابعاد والاقصاء لداخل أصلي، داخل هو ليس ببدني داخلي وإنما هو ببدن استهلالي لدال". إن السلسلة الدلالية تواجه إشكاليات حاسمة في العملية الترميزية. إن اخفاق الكبت الاولي وفشله يسمي في معجم لاكان ومصطلحاته سقوط القيد.

فالاستبعاد من النظام الرمزي يؤدي للعودة في الواقعي في شكل هلوسة. يتم استبعاد الدال المتميز في هذا المجال. أن سقوط القيد هذا هو الذي يفتح السبيل ويضع الأرضية لمجيي الذهان. ويعلق لاكان قائلا: إن ثمة حادثة تقع في هذا السجل وفيما يحدث فيه، أعني تحديدا، سقوط قيد الاسم - بتاع - الـ - اب في موقع الأخر الكبير-واخفاق الاستعارة الابوية هو ما اشير اليه بضرب من العجز الذي يعطي الذهان شرطه الأساسي، جنبا الي جنب مع البنية التي تفصل الذهان عن العصاب. فعلي خلاف العصاب، يكون لدي الذهاني إشكالية جادة مع عملية صنع المعني للنظام الرمزي. إن سقوط القيد يشير الي ابعاد دال ينطوي دوره على تثبيت وتخييط". ويضيف لاكان: ثمة شيء بدائي اوائلي بشأن كينونة الذات لا يدخل في عملية الترميز ولا يتم كبته، ولكن يتم رفضه. وإذا لم يتم رفضه، فإن هذا الدال الرئيسي والأوائلي يحدث على نحو او أخر ضربا من الفوضى في النظام الرمزي للذات من الناحية البنيوية. أن سقوط القيد يشير الي هذا الذي لم يتم نقشه ولا تنصيبه وتقريره في النظام الرمزي. أن سقوط قيد الوظيفة الأبوية يؤدي الي سقوط قيد للاسم - بتاع - الـ - اب.

عندما يتم كبت شيء ما، فإنه يعاود في النظام الرمزي. بينما يعاود العنصر ساقط القيد في الواقعي في شكل هلوسة، على سبيل المثال، أن ميكانيزم سقوط القيد هو الميكانيزم المميز للذهان. وفي مقالة "حول استشكال اولي سابق لأي إمكانية علاجية للذهان" يقيم لاكان الحجة قائلا: "أني سوف اتناول سقوط القيد على أنه سقوط قيد للدال. عند النقطة التي عندما يتم استدعاء الاسم - بتاع - الـ - اب - وسوف تري الكيفية التي بها - ثمة ثغرة خالصة وبسيطة تجيب هكذا في الأخر الكبير، جراء نقصان الأثر الاستعاري والفاعلية الاستعارية. إن هذه الثغرة سوف تحدث ثغرة مماثلة لها في مكان الدلالة الفالوسية. إن الدال الذي تم سقوط قيده هو الاسم - بتاع - الـ - اب. أن الزخم وقوة الدفع وراء سقوط القيد هو الأم التي لا تعترف بالقانون على النحو الذي هو عليه، ولا تخضع بسهولة لتدخل طرف ثالث. وبالإضافة الي ذلك، يمكن ربط سقوط القيد بعدم قدرة الأب على أن ينقش ويفرض قواعد وقوانين النظام الرمزي.

وحتى يصيغ لاكان صياغته في الذهان يعود الي مذكرات شريبر وتوضيحات فرويد العميقة لنفس الكتاب حتى يتسنى له صياغة نظريته بشأن الذهان. ويري إن الذهان كونه متمايز عن العصاب والانحراف إنما يحدث جراء سقوط قيد الدال الأساسي، الاسم - بتاع - الـ - اب. وأن مثل هذا الدال إنما يكون مرتبطا بصورة حميمة باللغة. وإن هكذا خلل في اللغة على هذا النحو هو الذي يؤدى الى الذهان. ويقرر "فينك" في الذهان، تفشل الاستعارة الابوية عن العمل ... ولا يتم استيعاب بنية اللغة. إن الاستعارة الابوية هي التي تجعل من المعني والدلالة ممكنا، والافتقار اليها ونقصانها يؤثر على النظام الرمزي بكليته ويدفع بالذات صوب الذهان. إن الذات الذهانية لم تدخل ابدا النظام الرمزي. أن كل العلاقات البين شخصيته مع الأخر الكبير تكون مهتزة مرتعشة.

ووفقا لجاك لاكان يعد الذهاني شهيد اللاشعور. واللاشعور يبني بناء لغة والذات الذهانية تعاني من القانون ومن نظام اللغة ومن اللاشعور. أن اللاشعور الذهاني غير مروض وغير منظم.

ويضيف لاكان " إن الذهان يتشكل من ثغرة، من نقصان، على مستوي الدال. والذات تستشكل كل سلسلة الدوال الناجمة عن الثغرة وبسببها. ويناقش لاكان " في الذهان ثمة شيء ما يصبح ناقصا غائبا في علاقة الذات بالواقع". ويواجه بناء الواقع الرمزي إشكالية. إن الذات الذهانية يتم التهامها من جانب اللغة. ودخول الذات الذهانية في النظام الرمزي ليس بآمن ولا هو بالدخول المستقر. إنها (الذات) تفضل ترك هذا العالم للواقعي. ويناقش إيفانز "إن سقوط القيد يلقي بالضوء على الفجوة بين الرمزي والذهان؛ إن سقوط القيد يشير الي ميكانيزم نوعي في الذهان، فيه يتم رفض عنصرا ونبذه خارج النظام الرمزي تماما شأن كما لو لم يكن موجود ابدا. أن ما يحدث في الذهان هو توقف في وظيفة الرمزي في العقدة البروميانية للواقعى والرمزى والمتخيل. ويضيف لاكان:

"فحتي يتسنى قدح زناد الذهان، يتم سقوط قيد الاسم ـ بتاع ـ الـ ـ اب، أي بمعني لا يتحقق له ابدا أن يتأتى في مكان الأخر الكبير ـ يتعين استدعاء الاسم ـ بتاع ـ الـ ـ اب لذلك المكان في التعارض الرمزي للرمزي للذات... ولكن كيف يتسنى للذات أن تستدعي الاسم ـ بتاع ـ الـ ـ اب للمكان الوحيد الذي كان من الممكن أن يكون موجودا بالنسبة لها والذي لم يكن ابدا؟ عن طريق لا شيء سوى أب واقعي، وليس بالضرورة على الاطلاق عن طريق أب الذات الفعلي، وإنما عن طريق أب ما One-father.

أن سقوط قيد الاسم ـ بتاع ـ الـ ـ اب يجعل من العلاقة بين الأنظمة الثلاثة تفشل ويدفع الذات تجاه الحافة الذهانية؛ فالذهان يتأسس على ميكانيزم سقوط القيد النافي negating mechanism of foreclosure. النقطة المطلقة للذهان إنما قام فينك بصياغتها على النحو التالي:

إن ثمة فقد لشريك هو من يسمح للذهانى أن يلعب دورا نوعيا في أسرة ويخدم جسده كحد للذه الذهانى؛ فقد للقدرة على الإنشباك في أي نشاط فني أو إبداعي جراء حادثة من نوع ما؛ فقدان لعمل يخدم في إعطاء الذهانى هدفا في الحياة.... إن ما يسمح للذات أن تبقى على صورة جسدها واللغة واللذة تعمل جميعها معا هو ليس بالمركب الأوديبى (أو الاستعارة الأبوية)، وإنما بالحري شريك حياة، مسعى فنى، أو عمل بعينه أو نشاط ما، على التوالي.

تعاني الذات الذهانية من آلام الأعراض المذكورة. لا يجب أن يتم خداع الذات بإغراءات النظام الرمزي. يجب على الذات الذهانية ان تتحرك فيما وراء الذهان متجهة صوب العرض المرضى بإقامة بديلا عن النقصان. وفى كتابه "نظره منحرفة " يقرر زيزك بشأن العرض المرضى" ثمة جزء أو شذرة من دال يتخللها متعة غبية هو ما يسميه لاكان، في المرحلة الأخيرة من تعليمه، العرض المرضى le sinthome. إن العرض المرضى لا يحمل أي معنى ولا يشير does not signify؛ أو يفضل القول، لا يستطيع الأخرون تمييز معناه. وكونه مصدرا للإمتاع بمعنى ما، فإنه يعطى الذات مكانه مختلفة وعلاقة. إن العرض المرضى إنما هو عالم فيما وراء النظام الرمزى.

العرض المرضي ولذه الأخر الكبير

يتعين على الذات الذهانية أن تنشد ضربا بعينه من التفسير والتبرير لحياتها. ويجب على الذهاني أن يحدد هدفا ومشروعا لإحداث المعني والاحساس. أن غياب الاسم ـ بتاع ـ الـ ـ اب يساوي غياب الدلالة. أن الذات الذهانية تنشد مآوي في الهذاء لكونه يعوض عن الدلالة المفقودة. أن الهذاء يمكن الذات من خلق معني في عالمها الفاشل، والنسق الهذائي يمد الذات بضرب من الاستقرار. غوالبا ما يوفر مثل هذا النسق الهذائي، كما يؤكد فينك، بما هو أكثر من مجرد قدر ضئيل من الاستقرار. فغالبا ما يعطي الذات هدفا ومهمة في الحياة لا تتعارض على الأقل مع الحياة في زمانها ومكانها على الأرض. إن الاستعارة الهذائية تجعل من الحياة في النظام الرمزي ممكنه ونو معني. إن الذات الهذائية تحدد ـ عن طريق العملية الهذائية ـ خلق تفسيرات للأشياء التي تحدث في عالمها، وعلى وجه الخصوص، لأثاره مبدأ تفسيري خاص بها. أن الهذاء الذي تبنيه الذات الهذائية (الذهانية) يخدم عرض التعويض عن النقصان والافتقار للمبدأ التفسيري؛ إنه يمد هذا النقصان بما يكمله. إن الاستعارة الذهانية تعمل كنقطة خياطة (نقطة لضم) وتعطي الاتساق والتوجيه لحياه وفكر الذهاني. إن النظام الهذائي يخدم الذات من عدم الاتساق الداخلي والخارجي.

أن النسق الهذائي يعد الملمح الأعظم دلالة في الذهان؛ وكونه محاولة تعافي، فإنه يمد الذات الذهانية بعمل وتأسيس علاقات جديدة مع الأشياء الأخرى والناس الأخرين. ويقول لاكان: أن الافتقار الي الاسم ـ بتاع ـ الـ ـ اب ونقصانه في هذا المكان الذي، عن طريق الثغرة التي يفتحها في المدلول، يؤدي الي سلسلة من عمليات إعادة صياغة الدال الذي تنطلق منه الكارثة المتزايدة للمتخيل، حتى يتم الوصول الي المستوي الذي عنده يستقر الدال والمدلول في ضرب من الاستعارة الهذائية. إن الاستعارة الهذائية هي أحد الاستجابات المحتملة لسقوط القيد. إنها بمثابة محاولة لتثبيت الثغرة في النظام الرمزي. ويقرر لاكان: "إن ثمة فجوة، غلطة، نقطة تمزق، في بنية العالم الخارجي تجد نفسها مرقعه بفعل فانتازية ذهانية. والفانتازية الذهانية تشير الي استعارة هذائية وتشير الي عرضي مرضي Sinlhome. أن الذات تشرع في ابتداع آخرين قليلين حتى يتسنى لها أن تدفع دين سقوط القيد. فالاستعارة الابوية لم يتم تأسيسها بالنسبة للذات. والهذاء ما هو الانعطاف لدفع ثمن عدم وجود هذه الاستعارة ونقصانها. إن الاستعارة الهذائية إنما هي نقطة انطلاق وبدء على أساسها تسعي الذات لإقامه وتأسيس عالم جديد من الدلالة. ويشير فينك الي هذا العالم الجديد على أنه "عالم الكونيات شديد الخصوصية". أن الفعل الهلوسي يساعد الذهاني على أن يعيش عن طريق خلق انساق متخيلة من المعني تسمي العرض المرضي Sinthome.

من الممكن أن يكون لكل ذات عرضها المرضي. ويذكر برنارد نويمن إنه: في الذهان، ما يتعين عمله دائما تقريبا هو ربط (الابعاد الثلاثة) معا حيث تواجه العقدة إشكالية في أن تكون مترابطة، وذلك لتجنب أي اتحاد عندما تكون الذات في مواجهه خطر ما يحدث، أو للمساعدة في إعادة ربط عقدة حيث كانت العقدة السابقة جاءت غير مترابطة، كما هو الحال في الذهان المتفجر لدي الراشد. إن الذات تريد أن تربط العقد معا وتبقي على قيد الحياة. ويقرر لاكان: "بداية من الحلقات الثلاثة ثمة سلسلة يتم احداثها، وأن أي تحطم وتكسر في حلقة منها يجعل الحلقتين الأخيرتين كل متحررة من الأخرى". والي هذه البنية الثلاثية أضاف لاكان حلقة رابعة لعقدهم معا ومنعهم من السقوط. العقدة الرابعة المشبكة لهم هي العرض المرضي. ويضيف لاكان" بعد اكتشاف إمكانية أن يتم ربط العقد الثلاثة في العقد البورومية الثلاثية، حرصت على ملاحظة أنه ما تم الإبقاء على هذه العقدة غير مقيدة، فإن ثمة عقدة ثلاثية تتواجد حيث تمتد مسرحيتها عبر نسيجها بكاملة؛ إنها عقدة حقا وبحق تمثل حدا رابعا، وسوف نطلق عليها تسميه عرض مرضي sinthome. إن العرض المرضي يساعد الذات على أن تربط معا لذه النظام الواقعي، والكلام واللغة للنظام الرمزي، والبدن والصورة للنظام المتخيل جميعهم في صفقة واحدة. إنه يمكن الذات أن تأخذ الحياة الي ما وراء الذهان وتمسك بالواقع. ومن خلال ربط هذه السجلات، يخترع العرض علاقة مع الأخر الكبير. إنه يتخذ حركة صوب الفالوس، يقيم تقارب للنوات المجنسة بالصبغة الجنسية، وفي الأخير، من المرجح تمتعهم وامتاعهم. ويقرر موريل: "أن النظرية اللاكانية في العرض المرضي تقدم بديلا عن طريق تمفصل رباعي جديد (الواقعي والرمزي والمتخيل والعرض المرضي)، مما يسمح لنا أن نفكر في العلاقة بين الجنسين وبين الأجيال دون الإشارة بالضرورة الي الاسم ـ بتاع ـ الـ ـ اب أو الفالوس. إن الذات الذهانية تشرع في الخلق، خلق ضرب من الوهم المتمركز حول الذات وخاص من شأنه أن يمكنها من إقامة ليس فحسب نوع مختلف من العلاقة الحميمية الجنسية وانما أيضا ضرب من الترابط الداخلي بين الأنظمة الثلاثة. ويقول راجلاند سوليفان، متتبعا لاكان، أن العرض المرضي يشير الي ضرب من الكتابة التي تكون

خالية تماما من المعني، التي من غير الممكن تفسيرها، غير إنها لما تزل لا يفتقد اهليتها لربط الذات بشيء ما من اللاشعور: اللاعلاقة الجنسية. إنه العرض المرضي الخاص بالذات الذهانية هو الذي يهييء المشهد لعدم الارتباط. أن العرض المرضي إنما هو الغرزة أو العقدة التي تربط معا اللغة (الرمزي)، والبدن (المتخيل) واللذة (الواقعي). وبالتالي، يعد العرض المرضي بمثابة الأسلوب الخاص بالذات لتصبح على اتصال مع الواقع. فلكل ذات عرضها المرضي الخاص بها. وكما يذكر موريل يمكن للعرض المرضي أن يكون موجودا لكل امريء، غير أن وجودة ينبغي أن يكون قائما في كل حالة على نحو خاص وأسلوب فريد، لأنه ليس هناك من عرض مرضي جينيي. والكتابة هي واحدة من أعظم أنواع الأعراض المرضية دلاله وخصوصية.

وهناك ثمة علاقة توجد بين العرض المرضي واللذة. ويذكر ايفانز "أن المعلم الباثولوجي للعرض المرضي هو على وجه الدقة ما يمكن أن يسمح للذات أن تعيش بتزويدها ومدها بضرب من الانتظام الفريد لاستمتاعها ولذتها. وفيما وراء التحليل والدلالة، يشير العرض المرضي الي مصدر من مصادر المتعة خلف النظام الرمزي في العلاقة باللغة. فاللذة عند لاكان تشير الي الاستمتاع في الإحساس أو المعني. إنها jouis – sens (تمتع - معني حسي).

أن اللذة إنما تتموقع في اللغة، إلا إنها تنطوي على ملامح بعينها تربطها بالعرض المرضي. ويذكر هوينزوبلوث أن: العرض المرضي إنما هو مثال هكذا تمتع في المعني enjoyment –in –meaning، ضرب من التمتع اللحوح "في" اللغة. أن المتعة تصنع المعني بفعل العرض المرضي بالنسبة للذات. كما يضيفا: أن العرض المرضي كونه لذه يمكن رؤيته على أنه ضرب من الدعم الختامي للذات، وفي الوقت نفسه كونه مصدرا لضرب من انفتاحيه الذات على المعني أو انتاج معني. أن الدعم الختامي لهوية الذات إنما يكون مرتبطا بأسلوب المرء الخاص بالتمتع في المعني، أو بالعرض المرضي للمرء نفسه. أن العرض العرضي كونه هكذا يشرع بفتح عتبة لمتعة الأخر الكبير بالنسبة للذات.

أن اللذة تشير بالمعني الاوسع للمصطلح الي لذة قصوى، لذة وجدت سبيلها في سيمينارات لاكان 1953-1954، و1954-1955. ووفقا لايفانز، يبدو أن لاكان استعار المصطلح للتحليل النفسي من تقليد بعينه في الفلسفة، وأعني تحديدا التقليد الهيجلي على النحو الذي طوره كوجيف. فاللذة jouissance كلمة فرنسية تشير الي التمتع المصحوب بمضامين جنسية وحسية. ولقد تم استخدام الاستمتاع أحيانا كونه مرادفا في الاكاديميا الانجلوفونية والاستمتاع يتضمن لذة تحفيزية وممارسة حقوق الملكية ولكن لا تعني الالماحات الجنسية للذة. ومن ثم فإنه أصبح من غير الممكن ترجمة المصطلح الفرنسي jouissance في الإنجليزية. ولقد تطرق لاكان الي المصطلح ليسلط الضوء على المتعة الناتجة عن عمل العبد للسيد. وشأن الرغبة، فإن العمود الفقري للاستمتاع (اللذة) يتمثل في ديالكتيك العبد/السيد. وشأن الرغبة، فإن العمود الفقري للذة هو ديالكتيك السيد/العبد الهيجلي؛ وأن ما سيفعله العبد هو خلق حالة من المتعة للسيد. وقد أضاف لاكان مسحه حسية الي اللذة عندما أشار الي المتعة والبهجة التي تتم خبرتها بعيدا عن الموضوعات الجنسية. ولاكان عند صياغته للذة كان يضع في اعتباره مبدأ اللذة. فاللذة، بالنسبة لجاك لاكان، تكمن فيما وراء قدر بعينه من المتعة وتتجاوزه؛ بمعني في الم المتعة in the pain of pleasure. ولقد استدعي لاكان المعارضة التي وضعها فرويد فيما بين الحفزة الجنسية وحفزة الموت من أجل حل تناقض المبادئ الداخلية.

وتقرر شيزا Chiesa: أن الاسم اللاكاني لهذه "المتعة في الألم"، أقصي درجات المتعة (التي) لا تطاق بالنسبة لنا، إنما لا يعدو أكثر من كونه لذة. أن مبدأ اللذة يصف جرعة معينه من التمتع، التي يتجاوزها لعدوان عبري، بدلا من أن تمد بمتعة أكثر، تؤدي الي ألم والي معاناة. أن الذات ليس بمسموح لها أن تخبر لذة فيما وراء ضروب كف وتحريمات مبدأ اللذة. أن كف المتعة يحدث على حساب اكتساب اللغة والدخول في النظام الرمزي. أن الذات تكون ملزمة باللغة واستخدام الدال. والدال الذي يتأتى من مملكة الأخر الكبير يحجب المتعة الكاملة على الأخر الكبير.

وتتم انتظامية كل شيء في هذه المملكة، بما فيها المتعة. وفي كتابة الكتابات ربط لاكان المتعة بالقانون. أن القانون يعد جوهريا أساسيا لمملكة الدلالة ويحد من المتعة بالنسبة للذات. ويذكر لاكان أن "المتعة ممنوعة محظورة على من يتحدث. ومن ثم، فإن التكلم يفرض القانون ويجد من المتعة. أن التكلم يقصر المتعة على القضيب (الفالوس). ويمكن اعتبار المتعة المقابل المعاكس للرغبة. يتم شق هذا الجسر من خلال الخصاء.

ويناقش لاكان مؤكدا أن الخصاء إنما يقصد به رفض اللذة حتى يتسنى بلوغها وتحقيقها على المقياس العكسي لقانون الرغبة. أن قانون الرغبة إنما هو قانون الدال الذي يجعل من اللذة محدودة.

وبشأن التعارض فيما بين المتعة والرغبة، يقرر Nestor: "إذا كانت الرغبة هي في الأساس نقصان، في الكينونة، فإن اللذة تكون هي الإيجابية، تكون بمثابة "شيء ما" يعيشه البدن ويخبره عندما تتوقف اللذة عن أن تكون لذة. أنها ضرب من الإضافة، ضرب من الإحساس التي يتجاوز اللذة. وأكثر من ذلك يضيف Nestor:

تتجه الرغبة صوب فقدان وموضوع غائب؛ أن الرغبة هي نقصان في الكينونة، والاشتياق للتحقيق والاشباع في المواجهة مع الموضوع المفقود. ويكون تعبيرها العياني الفانتازية. اما اللذة، من ناحية أخري، لا وجهه لها، ولا هي بالتي تخدم أي غرض أيا كان؛ إنها بمثابة خبرة لا يمكن التنبؤ بها، فيما وراء مبدأ اللذة، ومختلفة عن أي مواجهة (سحرية). أن الذات تجد نفسها منشطرة بفعل القطبين اللذة/الرغبة. وهذا هو الذي من اجله تكون الرغبة والفانتازية والمتعة بمثابة حوجز في السبيل الي اللذة.

أن الرغبة واللذة متعارضان. الرغبة تتسود النظام الرمزي وتمد الذات بمسحات من اللذة التي هي لذة قضيبية؛ وفي كلمات أخري، تكون مرتبطة باللغة والبدن. ولقد قسم لاكان اللذة الي لذة قضيبية ولذة الأخر الكبير. اللذة القضيبية يتم تمثيلها باللوغاريتم jcp وتشير الي لذة العضو. وهذا النوع من اللذة يمكن خبرته من كلا الجنسين. ومن ناحية أخري، تشير لذة الأخر الكبير الي اللذة فيما وراء اللذة القضيبية ومدلولها باللوغاريتم jA. وتعرف أيضا كونها لذة سحرية أو انثوية. أن اللذة القضيبيه هي لذة جنسية بينما تكون لذة الأخر الكبير لا جنسية.

وفي السيمينار العشرين الذي يحمل عنوان Encore (مع ذلك) سبرلاكان غور اللذة الانثوية ولذة الأخر الكبير على نحو أبعد.

أن لذة الذات الخاضعة للنظام الرمزي هي لذة قضيبية. وهذه اللذة إنما يتم تقييدها بالخصاء، بقانون الدلالة والاسم ـ بتاع ـ الـ ـ اب. إنها تجد ممثلها واشباعها في أجزاء البدن. ويعلق لاكان: "أن اللذة القضيبية هي بمثابة عقبة بسببها لا يبلغ الرجل ابدا للاستمتاع ببدن المرآة، وذلك على وجه الدقة لأن ما يمتعه إنما هي لذة العضو. أن هذه اللذة محدودة مقصورة بالمعني الذي تكون فيه ضرب من الاشباع وأن لها نهاية. وأكثر من ذلك، تكون محدودة بالمعني الذي تكون فيه تحقق اشباعا في أجزاء الجسم. ويذكر لاكان "أن اللذة، بوصفها جنسية، إنما هي لذة قضيبية، أن اللذة فيما وراء الكلام، القانون، القضيب إنما هي لذة الأخر الكبير. وبكلمات Chiesa: تبدو لذة ـ الأخر الكبير تلمح اللذة الخالصة للواقعي فيما وراء أي تدنيس رمزي. إنه يتم وضعها فيما وراء الفالوس والعضو وخارجهما. أن لذة الأخر الكبير إنما هي لذة النظام الواقعي وتبقي خارج النطاق اللغوي وفيما وراء التعبير. أن مثل هذه اللذة تتبدي في الهذاء والهلوسة. وتذكر Chiesa أن لذة الأخر (الأخر الكبير ـ الانوثة ـ اللذة) تكمن خارج حلقة الرمزي، غير إنها لا تكون خارج كل الحلقات. أن لذة الأخر الكبير إنما يتم تموقعها فيما وراء متطلبات النظام الرمزي وتتجاوز ملذات القضيب.

ويعتقد لاكان: هناك ثمة متعة هي هن، وأن المتعة التي تنتمي الي هذه "الهي" elle هي التي لا توجد ولا تلمح لشيء البتة. هناك ثمة متعة هي هن بشأنها هي نفسها قد لا تعرف عنها البتة أن لم تكن هذه المتعة هي التي تخبرها ـ أن هذه المتعة هي التي تعرفها. إنها تعرفها بطبيعة الحال عندما تبلغها. إنها لا تحدث ابدا. تتجاوز هذه المتعة المتعة القضيبية وتزيد. يكتسب الرجل حياته وهويته من خلال المتعة القضيبية، غير أنه من خلال متعة الأخر الكبير يمكنه أن ينجز الما وراء ويجعل لنفسه خطابا خاصا به.

الرياض 2021/01/29

د/ السيد البدوي فتحي صديق

أستاذ مساعد علم النفس

واستشاري العلاج النفسي